

الدرس السابع

التعليق على أمثال القرآن من إلام الموقعين

الشيخ مشهور بن حسن - حفظه الله -

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - وعلى اله وأصحابه
أجمعين، أما بعد.

قال المؤلف - رحمه الله - : فصل : ومنها قوله تعالى : (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى
وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فإنه سبحانه وتعالى
ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذكر
المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبارات إلى ربهم فوصفهم بعبودية
الظاهر وبالباطن جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى
عن رؤية الحق أصم عن سماعه فشبهت بمن بصره أعمى عن رؤية أحق الأشياء
وسمعه أصم عن سماع الأصوات والفريق الآخر بصير القلب سمعه كبصير العين
وسمعه الأذن فتضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين ثم نفى التسوية عن
الفريقين بقوله (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا).

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات
أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد،

فالناس في أقسام الشرع ثلاثة أصناف لا رابع لها، وهذه الأصناف الثلاثة المذكورون في أواخر سورة الأحزاب، لما ذكر الله تعالى الأمانة: قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }، فالذين حملوا أو ردوا هذه الامانة هم ثلاثة أصناف، هم المعنيان بهذا المثل، قال الله تعالى بعد آية حمل الأمانة: { لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ } القسم الأول، { وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ } القسم الثاني، { وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } القسم الثالث، { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }.

فأقسام الناس من ناحية مِلِّيَّة عند أهل السنة والجماعة ثلاثة، خلافاً للعلاة غيرهم فهم أربعة، أما أهل السنة يقسمون الناس إلى ثلاثة أقسام لا رابع لها:

- القسم الأول: حمل الأمانة في الظاهر دون الباطن، وهم المنافقين والمنافقات.

- القسم الثاني: رد الأمانة في الظاهر والباطن، وهم المشركون والمشركات.

- القسم الثالث: على درجات، ليسوا سواءً، ولحكمة عظيمة قال الله -عز وجل-

قبل أن يذكر القسم الثالث قال: { وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

غَفُورًا رَحِيمًا }، القسم الثالث ذكرهم الله تعالى تحت ثلاثة بنود:

- فمنهم ظالم لنفسه. - ومنهم مقتصد - ومنهم سابق بالخيرات.

يعني القسم الثالث عندنا (أ، ب، ج): (أ) ظالم لنفسه، (ب) مقتصد، (ج) الأبرار:

من كان سابقاً للخيرات.

هذه الآية التي معنا، آية فيها مثل الفريقين، الفريق في اللغة العربية هو مجموعة افترت عن غيرها بشيء، مجموعة افترت عن غيرها بشيء، فهناك المجموعة الأولى والثانية المنافقين والمنافقات هم أصحاب المثل الأول: المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات في جماعة افترقوا عن غيرهم، وهنا لفظة عجيبة قال: (بعبودية الظاهر والباطن)، الإمام ابن القيم قال: (افترق المؤمنون عن غيرهم بعبودية الظاهر والباطن)، افترقوا عمن عبدوا الله بالظاهر دون الباطن، وعمن لم يعبدوا الله لا بالظاهر ولا بالباطن، فالناس فريقان، و ذكر الله عز وجل هذين الفريقين في كثير من الآيات، وسيأتينا في عدد من الأمثلة أيضاً، ذلك أن للشرع مقاصد أصلية، ومقاصد الشرع الأصلية التفريق بين الناس.

قد يقول قائل: يا جماعة الشرع جاء بالاتحاد والاجتماع والوحدة ليس بالفرقة! الجواب: لا والشرع جاء بالفرقة أيضاً.

ما أجمل أن يسبق الوحدة التوحيد، ولا نطمع ولا نطمح ولا يمكن أن يكون هنالك اجتماع دون توحيد، لا ننادي بالوحدة كما كان يفعل القوميون، الوحدة على العروبة والنخوة والشهامة، نحن ننادي بالوحدة التي يسبقها التوحيد، بالتوحيد الذي تتبعه الوحدة، وإلا فالناس ليسوا فريقاً واحداً، فمن مقاصد الشريعة الأصلية التفريق بين المسلم والكافر، التفريق بين المسلم والكتابي، التفريق بين المسلم والحيوانات، هناك كثير من الأمور المنهي عنها في الشرع نهينا عن التشبه بالحيوانات حتى في الصلاة، وكذلك التفريق بين الذكر والانثى، هناك كثير من أحكام الشريعة فيها

حُرمة تشبه الرجل بالمرأة وتشبه المرأة بالرجل، فالأصل في الإنسان أن يبقى على خلقته التي خلقه الله تعالى عليها؛ فهذه مقاصد شرعية كلية.

تأمل معي المثل، عجيب هذا المثل، المثل في غاية البلاغة، والذي يتأمله يجد تأثيراً عجيباً له في حياته، فهو نهاية في العظة والعبرة، وكذلك نهاية البلاغة، وفيه إيجاز في اللفظ، كلمات معدودات، وفيه حسن تشبيه، { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ }، من الأفضل؟

ما ذكر لنا من الأفضل؟

هل يستويان مثلاً؟

من الأفضل؟

بعض الناس -أجلكم الله- دواب لا يفهم، وقد يفضل الكفر على الإيمان، لكن الله قال: { هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ }، طبعاً لا يستويان؛ الله -عز وجل- يقول في الآية الأعمى والأصم فريق، والفريق المقابل بصير سميع، عكس الأعمى بصير وعكس الأصم سميع، هل يستويان مثلاً؟

الأفضل يعرف بالفطر السليمة والعقول المستقيمة، والناس في سَجِيَّاتِهَا يعرفون من الأفضل هل هذا الفريق أو ذاك.

الله -عز وجل- في كثير من الآيات قرر وليس في مثل، قرر في آيات كثيرة أنّ المؤمن ليس كالكافر، والكافر كما قلنا بصنفيه أهل الكتاب بعد ما بعث النبي -
ﷺ- فحرفوا وغيروا وبدلوا وأضفوا الربوبية على العزيز وعلى عيسى -عليه السلام-

كفروا {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثُلُثَةٍ}، والله -جل في علاه- ذكر في آيات مختصرات - كلنا يحفظها- في سورة البينة قال الله -عز وجل-: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}، من هم أولئك (شر البرية)؟ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية.

في المقابل، القرآن مثاني، معنى أنه مثاني أي أنه يُثَنِّي لك الصورة، يثني لك خير البرية وشر البرية، أهل الجنة وأهل النار، يثني لك الدنيا والآخرة، {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}، هذا ليس مثل هذا تقرير، وتقرير لا محيد عنه، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} (6) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ ۖ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8) {، إذاً في عندنا خير البرية وعندنا شر البرية، هذا المثل مثل فريقين، جماعة افترق كل منهم عن الآخر فَسُمِّيَ فريقاً، فريق خير البرية وفريق شر البرية.

وهنا مسألة -وهي نافعة- أيهما أفضل البشر ولا الملائكة؟

بعض المفسرين قالوا ما دام أن الله قال: {أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} إذاً البشر خير من الملائكة، فرد عليهم فريق آخر فقالوا: الله قال: {أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} عن الكفار.

فإذاً فصل أهل العلم في التفضيل، وكما تعلمنا في أمثلة كثيرة أن الصواب في التفضيل: التفضيل.

فقالوا: جنس الملائكة خير من جنس البشر لأن البشر فريقين فريق خير البرية وفريق شر البرية، فتفضيل الإنسي على الجنى بإطلاقٍ خطأ، واستدلوا على ذلك بما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (قال الله تعالى أنا عند حسن ظن عبدي بي، أنا معه حينما يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) ثم الشاهد قال: (وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء هم خير منهم).

الحديث: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم، وإن تقرب إلي بشيرٍ تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هزولاً). الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري. الصفحة أو الرقم: 7405 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]. التخريج: أخرجه مسلم (2675) باختلاف يسير.

إن ذكرني في ملاء -حالنا إن شاء الله فنحن نذكر الله في ملاء- فالله سبحانه يذكرنا في ملاء هم خير منا.

من الملاء الذين يذكرنا الله عز وجل بهم؟

الملائكة.

فقال أهل العلم التفصيل، إذا نَظَرْتَ إلى المَلَأَ بالجملة فمَلَأَ الملائكة خيرٌ من مَلَأَ
البشر بالجملة، وإذا نَظَرْتَ إلى آحاد المؤمنين الصادقين المتقين المقربين الأبرار عند
الله - عز وجل - الذين يمثلون أوامره ولا يرتكبون نواهيه فالواحد منهم خيرٌ من
الملائكة، وهو المعني ها هنا بالفريق الأول، ليس البشر وإنما الفريق الأول، والفريق
الأول أيضاً كما قلنا الفريق الأول المؤمنين وهم أصناف.

والفريق الأول أيضاً كما قلنا المؤمنين هم أصناف. طبعاً التشبيه الذي معنا تشبيه
صريح واضح، (مَثَل) وهي أداة التشبيه فهو غير كامل وليس تشبيه خفي يحتاج إلى
إعمال الذهن. والتشبيه في ميدان العقيدة .

وقلنا أن أغلب الأمثال في القرآن هي بيان أثر المعتقد السليم الصحيح على
صاحبه.

يمكن أن تقول مثل الإيمان وهذا الذي يُفهم من الإشارات التي سمعتموها من كلام
المصنف الإمام ابن القيم رحمه الله مثل الإيمان ومثل الكفر.
فالإيمان مثله مثل كما قال الله عز وجل بصير قلب سميع، والكفر مثله مثل الميت،
قلبه ميت فلا يسمع ولا يُبصر.

فإذا كان التشبيه بالإيمان والكفر بالأعمى والأصم والسميع والبصير فيكون تشبيه
معقول بمحسوس، الإيمان معقول ليس ذات، وإن كان المراد الذي حلَّ فيه الإيمان
أو الذي حلَّ فيه الكفر وهو تشبيه المؤمن بالسميع والبصير والكافر بالأعمى
والأصم فحينئذ يكون تشبيه محسوس بمحسوس، والعبرة ليست بالأفراد والأشخاص

العبرة بالإيمان والكفر، ولذا قال غير واحد من المفسرين أن في هذا المثل تشبيه معقول ليس بمحسوس، تشبيه الإيمان وتشبيه الكفر بالأعمى والأصم والسميع والبصير.

التشبيه لا يمكن أن يكون بين المؤمن والكافر ، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون الأعمى والأصم كالْبصير والسميع.

هذا المنفي أين؟

سبق الجواب عليه بالإيمان، فيما سبق عندما ذكرنا قول الله عز وجل: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (الانفطار ١٣-١٤)}.

الأبرار في نعيم لا يستويان، الأبرار في نعيم والفجار في جحيم.

الأبرار في نعيم أين؟

الأبرار في نعيم في الدنيا، كما قال بعضهم قال إن الأبرار يعيشون في لذة في هذه الحياة لو يعرفها الملوك لجالدوهم عليها بالسيوف، لو الملوك يعرفون لذة العبادة والمناجاة والطاعة والإخبات والإقبال على الله عز وجل والأنس به وانسراح الصدر بذكره وتدبر آياته ، لو الملوك يعلمونها هذه اللذة لا تموت، هذه لذة لا تعدلها لذة لقاتلوهم عليها بالسيوف.

إن الأبرار لفي نعيم في الدنيا مُجَهَّزِينَ مُحْصَنِينَ مِمَّا يَجْرِي.

العجب المؤمن يُقتل ويرى أعز الناس إليه وجوابه ماذا يكون؟

الحمد لله.

من يستطيع أن يقول الحمد لله لما يرى المصائب التي تحل به وبداره وبماله وأهله
ويُقطَع أشلاءً والنتيجة يقول ماذا؟

الحمد لله.

خلاف أهل الجحيم لا يعرفون الحمد لله.

كلمة الحمد لله أثارت فضولاً وأثارت نقولاً وأثارت فطرة صديمة مستقيمة عند
الكثير من الكفار، يموتون ويقولون الحمد لله.

ما هذا الدين؟

إن الأبرار لفي نعيم، في نعيم في الدنيا ، مهما حل به هو عبد لله، الله سيّد،
والسيد يفعل بعباده ما يريد فلا يعترض.

إن الأبرار لفي نعيم في البرزخ في القبر ، إن الأبرار لفي نعيم في الجنة ليسوا سواء
ليس المؤمن كالكافر، وإن الفجار لفي جحيم في الدنيا.

وقلت لكم في الدرس الماضي لو جيء بأنعم أهل الأرض، أكثر الناس أموال وأكثر
الناس جاه وأكثر الناس من المملذات ونالها فَعُمس في النار غمسة ثم رُفِع من
غمسة النار، ما رأيك؟

ماذا سيقول؟

سيقول كنت في جنة.و.

كذلك لو جيء بأبئس الناس من الكفار فَعُغَس في النار غمسة وهو في بؤس
وشقاء وحرمان وابتلاء، قيل له كيف كانت الدنيا؟

قال كانت الدنيا جنة .

فالدنيا جنة مَنْ؟

جنة الكافر .

والدنيا سجن المؤمن.

أنعم الخلق من المؤمنين لما يغمس في الجنة يقول كنت في عذاب كنت في سجن في
الدنيا.

الأبرار في نعيم والفجار في جحيم.

فالأبرار في نعيم كما قلنا في الدور الثلاث والفجار في جحيم الدور الثلاث.

مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع، الفريقان المعهودان في سياق
الآيات والمذكوران قبل هذه الآيات في سورة هود فذكر الله عز وجل الكافرين
فقال: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۗ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ
الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } (هود18).

هذا الفريق الأول، فريق يكذب ويفتري على الله جل في علاه، فريق يزعم ويقول الله
خلق الناس كلهم لي، وكلما قتلت وذبحت أكون أقرب إلى الله وأحسن.

فحال الذي يذبح ويقصف أقرب إلى الله من حال الذي هو مسالم الذي يؤذي الناس.

لذا الخرافة راجت على عقول بعض الناس بسبب الغفلة عن هذا المعتقد الذي فيه اليهود يقولون اليهود لو تركناهم ما آذونا، لا اليهود يؤذيك ديانة، اليهود يتقرب إلى الله بإيذائك والمراباة معك وسرقة أموالك.

فريق ينبغي أن يُتخلَّص منه فريق ليس له في الحياة ما ينبغي أن يبقى له وجود في الحياة لا ينظر للمسلمين هذا النظر فقط ينظر بكل الخلق. ففرق بين المثليين .

(ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا).

الفريق الأول يمتاز فريق اسمه فريق جماعة يفترون عن غيرهم يفترون بالكذب على الله، ومن يكذب على الله عز وجل لا خير فيه، هو يعرف الله عز وجل وليس كافر بمعنى أنه ملحد هو يعرف الله عز وجل لكن معرفة ليست معرفة شرعية حقيقية معرفة فيها زور وفيها كذب وفيها افتراء على الله عز وجل.

ولذا أدخلنا في الفريقين المذكورين في الآيات أدخلنا معهم أهل الكتاب، لأن الله لما ذكر خير البرية وشر البرية جعل الكفار وأهل الكتاب شر البرية، جعلهم فريق فهم فريق جماعة يمتازون بشيء فيمتازون بهذا المثل شر البرية، شر البرية أصم أعمى، خير البرية كما قال الله عز وجل بصير سميع.

أما المؤمنون فالله عز وجل قال فيهم في الآيات المعهودة قبل هذه الآية قال الله عز وجل: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَجِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (هود23).

الفريق الثاني عنده إيمان وعمل صالح وعنده إخبات، القلب مُتعلق بالله، القلب لا يأنس إلا به كما قال الله عز وجل في سورة الرعد: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (28).

المؤمن يمتاز عن الكافر يمتاز بأنه بصير سميع، بصير لأنه يتأمل آيات الله عز وجل. آيات الله قسمان:

- آيات منظورة وهي الآيات الكونية التي تدل على أن الله حق سبحانه والتي تدل على عظمة الله ولذا نحن نُهينا في الشرع أن نتفكر في ذات الله وأدبنا وحثنا شرعنا أن نتفكر في آلاء الله ونعمه.

- آيات متلوّة نتلوها في القرآن الكريم، فالمؤمن بصير ، المؤمن سميع.

تأمل معي قال سميع ما قال قارئ، قارئ ليست صفة خاصة بالمؤمنين، هو إن قرأت عليه آيات الله يسمعها ويتدبرها بقلبه وينظرها بقلبه فله بصر وله بصيرة.

الله أخبرنا عن أهل النار وتأمل معي حتى تجد التطابق، فقال الله عز وجل عن أهل النار: { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } (الملك10)، نسمع أو نعقل ما قال نقرأ، النبي ﷺ يقول: (نحن أمة أمّية لا نحسب ولا نكتب)، في الصحيحين نحن على سجيتنا على فطرتنا ما غيرنا ولا بدلنا بقينا على السجية

التي خلقنا الله تعالى عليها، وسر خوض الناس في الشرع أنهم أمة أمية، فهذه الأمة الأمية تحتاج إلى عتاد وسلاح وعدة إن تكلموا، ولذا جاء الشرع في حرمة الافتراء على الله بالكلام دون أدلة.

لماذا جاء الشرع بالحرمة؟

لأننا أمة أمية، اترك سجيتك تتكلم في كل مسألة، في أي مسألة تتكلم.

الآن مسائل أعضلت العلماء وأتعبتهم وقلقوا فيها، وبعضهم مكث سنوات طوال وهو يبحث عنها، ادخل على عوام المسلمين في مسجد فيه عوام القبي المسألة تجد الاجوبة، نحن أمة أمية لكن من الذي يُصيب؟

هنا المشكلة.

الإنسان إن نتكلم في الشرع ينبغي أن نتكلم بدليل {قل هاتوا برهانكم}.

فالمؤمن ينتفع بآيات الله الكونية المسطورة فهو بصير ينظر إليها بقلبه وينتفع بآيات الله سبحانه وتعالى المتلوة ، في القرآن الكريم فهو سميع.

الكافر أعمى وأصم.

الكافر ينظر أحسن ما يتكلم عليه العالم من العلماء من الكفار يصلون إلى ما لا يميزهم عن طريق الكفر.

لما تجلس الكفار عندهم من العلوم ما هو معروف، تسمع لرجل مثلاً تخصص في الطب فيتكلم لك مثلاً عن آيات الله في الأجل وآخر عن آيات الله في الفلك وثالث عن آيات الله عز وجل في البحار.

أحسن ما يصل إليه يصل إلى أن الله حق، يصبح مثل أبو جهل، أبو جهل يعرف أن الله حق.

كفار قريش يعرفون أن الله حق.

ويبقى في فريق الأول.

الفريق الأول الذي يعرف الله بعقله لا بفطرته، لا يستجيب بداعي الفطرة.

فكون الله حق تسمع كما كنا نسمع من الشيخ زغلول النجار في الإعجاز العلمي وإلى آخره يتبرهن وينشرح الصدر إلى أن الله حق، هذا صح، لكن هل هذا أسلم؟
خرج من الكفر؟ لا ما خرج.

لماذا؟

لأنه غطى الفطرة.

ما هو الكفر؟

التغطية.

تغطية ماذا؟

كل فعل كَفَرَ.

فعل كَفَرَ كُفْرَ فيها التغطية، وكل قرية وما أكثر قرى الشمال في بلادنا، قرى إربد وما حولها كفر، كل كفر فيه ماء، كل قرية فيها كفر ماء، وسر تسميتها بالكفر الذي سماها كفر يفهم في اللغة، الكفر الذي يوضع البذور تحت التراب، فالكفار هم الزراع الذين يجعلون البذور تحت التراب، غطوا البذر بالتراب.

فالكافر في شرعنا الذي يغطي فطرته.

أنتم بالفطرة.

الإنسان على فطرته مؤمن.

ابن رشد الفيلسوف يقول: لو أخذنا رجل مجرد ما ولد، ورميناه في غابة حيوانات، ما احتك بالخلق أبدا، وضعناه في غابة الحيوانات، وتعاهدناه بالطعام والشراب فقط، ورميناه مع الحيوانات، سينشأ عارفا بالله سبحانه وتعالى، ولن يكون مجرما، فيه براهين وأدلة كثيرة.

فالكافر فريق. الفريق الذي يجمعهم غطوا الفطرة، عاندوا الله، ما استجابوا له، ما اعترفوا بعبوديته، ما اعترفوا أن الله السيد وهم العبيد لله سبحانه وتعالى. كابروا فغيروا وحرفوا وكذبوا وافتروا هذا كله فريق، وهم شر البرية.

والفريق الآخر الفريق الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى الله، رجعوا إليه سبحانه وتعالى.

الآيات التي فيها تقرير عدم المساواة كثيرة، وفيها أيضا آيات اخرى كثيرة فيها أمثلة

في التفريق بين الميت والحى، وأمثلة الحى وأمثلة الميت.

مثلاً: الله عز وجل يقول في هيئة التقرير لا في هيئة الأمثلة، قال الله عز وجل
{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا
يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۗ}، قال: {
أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ}، غافل، غافل عن آيات الله..، غافل عن سمعه وبصره.

قارن بقوله تعالى: { قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَّا
يَسْمَعُونَ بِهَا }.

المثل الذي عندنا { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }.

ما في ذكر قلب، لأنه المثل تشبيهه معقول بمحسوس والقلب ليس بمحسوس.

ولكن المؤمن المذكور هنا بالبصير والسميع والكافر المذكور بالأعمى والاصم، القلب
له أثر كبير في الرؤيا وفي السماع، ليست الرؤية الرؤية العينية، الرؤية المادية، الرؤية
العينية النابعة من القلب الذي فيه التأمل والتدبر، وكذلك السماع فالقلب وزع على
أمرين، لأن السميع البصير والأعمى والاصم الأول للحي والثاني للميت، فالقلب له
صلة بذلك.

الله عز وجل يقول {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ}، شر
الدواب أصم أبكم، ويقول الله عز وجل في السورة نفسها {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا}، {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}، هذا يلتقي
{أُولَئِكَ هُمُ الشِّرْكِيُّونَ}، من شر الدواب عند الله؟

الذين كفروا.

هل المؤمن (هذه حقيقة قرآنية) هل عقد قلبه عليها؟ حتى يتميز عنه، حتى يستجيب لأقوال النبي ﷺ وأقوال السلف الصالح التي فيها أن هذا من صنيع أهل الكتاب، أن هذا من تشبه بالكفار، افحص إلى مخالفات المسلمين في أعمالهم تجد القاسم المشترك فيها تشبه بأهل الكتاب وتشبههم بالكافرين.

ألف بعض متأخري العلماء الشافعية من غرة، غزي، له كتاب في ستة عشر مجلدا اسمه حسن التنبه في مسألة التشبه، يذكر المخالفات التي يفعلها المسلمون ويرد هذه المخالفات إلى أهل الكتاب.

القرآن بالجملة يصب المفاهيم، والسنة بالجملة تصوب السلوك، فالقرآن ركز على أن المؤمنين فريق وأن الكفار وأهل الكتاب فريق يجتمعون في عدم تعظيم الآخرة، في عدم الإيمان الشرعي الصحيح في عدم العمل الصالح في عدم الاخبارات إلى الله عز وجل، فهذه علامة فارقة.

فالقرآن الكريم صوب هذا المفهوم، السنة رسخته في تطبيقات تفصيلية في كل شيء، يعني أن تبدأ باليمين في كل شيء، مخالفة لأهل الكتاب، أهل الكتاب يأكلون بالشمال، ويعطون بالشمال، ويأخذون بالشمال، والنبي ﷺ كان حازماً، رأى رجل يأكل بشماله فقال (كل بيمينك) فقال كبراً: لا أستطيع. فقال له النبي ﷺ (لا استطعت)، فما استطاع الرجل أن يرفع يده إلى فمه أن يحركها (لا استطعت) شلت يده.

وبعض الفقهاء اليوم يقول لك الأكل باليمين والشرب الأكل باليمين يعني سنة،
والنبي ﷺ دعا عليه، ليس سنة فرض، وفرض بالقرآن.

هم فريق ونحن فريق، فريق يمتازون بأفعال ومفاهيم، انظر للشهوة التي أصابت
المسلمين، المصيبة العظمى من الشهوات المتفلتة الحرام.

المؤمن له أن يلتذ بزوجة واثنين وثلاثة وأربعة، ويتلذذ بما شاء من النساء، لكن هذه
لي ليست لغيري، لا يشاركني فيها غيري، وأتلذذ بما أحل الله لي، وأحقق المقصد
منه أن الله وضع في الشهوة حتى يأتي الولد، فأكسب دنيا واخرة.

الكافر يريد شهوة لذاتها، فالشهوة الماء، كلما شربت عطشت، -الشهوة المحرمة-
كالجائع الطعام كل ما أكلت جعت، لا يشبع الانسان بالشهوة المحرمة.

أما الزوج الحلال تشبع منه وهي لك، والإنسان في نفسه خاصة، وهذه الخاصة
عبر عنها الشرع بالإحصان، والإحصان تكون لك زوجة ليست لغيرك.

ابن القيم يقول الذي يتزوج الكتابية ليس بمحصن لأنها تتكشف على الناس.

عندك خاصة في ذاتك حتى تكون أنت محصن هذا شيء خاص فيك ، لذا أنا
والله أستغرب، المتزوج متبرجة هل هو محصن ولا غير محصن؟ من تزوج امرأة متبرجة
تظهر عورتها في الطريق، هذا محصن؟، هذا فقد امراً خاصاً به، فقد شيء خاص
فيه، المتعة بامرأة وهذه المرأة ما يصلها أحد كما أصلها أنا، لذا المرأة لا يكشفها ولا
يعرف عورتها إلا الزوج، لا يعرفها أبوها ولا يعرفها أخوها ولا يعرفها ابنها. هي

خاصة للزوج من هذا الجانب، بخلاف أهل الكتاب، لذا نحن أُمرنا في الشرع بمخالفة أهل الكتاب.

وسياتينا في هذا المثل أيضا في صفحة ميتين وواحد وثمانين فيما بين أيديكم من المذكورة قول الله عز وجل في سورة الفرقان {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝}.
لماذا لا يسمعون ولا يعقلون؟

لماذا هم اضلوا سبيلا؟

لماذا هم كاللدواب؟

لأنهم لا يستخدمون السمع والبصر.

قد يستشكل بعض الناس الله يقول عز وجل لناس لا سمع له لهم قلوب لا يفقهون بها لهم أعين لا يبصرون بها، هم يبصرون؟ نعم يبصرون، وهم أذكياء ويعملون قلوبهم نعم يعملون قلوبهم، لكن الغاية الأصلية التي خلق الله عز وجل فيها القلب والتي خلق الله فيها السمع والتي خلق الله عز وجل فيها البصر تعطلت، وهي أصل غاية الغايات كلها أن تعرف الله عز وجل.

يعني أضرب مثلا رجل عنده سيارة، اشترى سيارة ليقضي بها أغراض البيت، احتاج شيئا ذهب بهذه السيارة وجاب الأغراض وجاء، كل ما أراد حاجة وجد السيارة أخذها ولده وهرب فيها يمشور فيها، فلو قال قائل هذا ما عنده سيارة، قلت صحيح ما عنده سيارة، هو عنده سيارة عنده سيارة، بس ما عنده سيارة نعم ما

عنده سيارة. هو عنده سيارة وما عنده سيارة، ما عنده سيارة الغاية التي جيء بالسيارة من أجلها ما تحققت، فالغاية التي خلق القلب وخلق البصر وخلق السمع بها ما تحققت وهي الاخبات إلى الله والايمان والعمل الصالح.

ولذا هذا المثل لنا معه كرة، والظاهر أن مناط التكليف في الشرع السمع والبصر، قال تعالى: { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا }.

الإنسان خلق للابتلاء.

ما هي أداة الابتلاء في الشرع { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ }

كيف يكون الابتلاء؟

{ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا }

الإنسان يدرك الحق من الباطل بالسمع والبصر، والسمع والبصر اليقظان الذين لهما صلة بالقلب.

هل يستويان مثلاً؟

المفضل غير المذكور، وهو معلوم من المقام عند أصحاب العقول السليمة فمعلوم تفضيل الفريق الممثل بالسميع والبصير على الفريق الممثل بالأعمى والأصم ، هل يستويان مثلاً؟ علماء الإعراب يقولون مثلاً هل يستويان مثلاً تمييز ، أفلا يتذكرون ؟ الاستفهام إنكاري ، والمقصود تنبيه المشركين إلى ما هم فيه من الضلالة لعلهم يتداركون أمرهم ، فالهمزة همزة استفهام وإنكار ، فانتفاء تذكرهم واستمرارهم في

ضلالهم لأنهم ما استخدموا أبصارهم وأسماعهم ، فلو أنهم استخدموا أسماعهم وأبصارهم لكان في ذلك خير لهم.

وهذا المثل فيه دعوة لإعمال الحواس السمع والبصر بأقصى الطاقات واستخدامها على الوجه الأمثل، فالسمع والبصر أدوات التكليف، فالمؤمن يعيش بسمعه وبصره يعيش على نور ، والكافر بسبب عدم استخدامه الصحيح للسمع والبصر يعيش في ظلمات ، فرق بين من يعيش على وبين من يعيش في ، على نور يستشرف ينظر ويستخدم كل طاقاته في نظره ، الذي يعيش في الظلمات مغموس فيها، وفي الظلمات ليس في ظلمة في الظلمات ، ظلمة فوقه وظلمة تحته وظلمة عن يمينه وظلمة عن يساره فليس له استشراف، وهذا له أثر في الحياة، وهذا كلام يحتاج إلى كلام طويل.

الذي ينعم به الغرب اليوم من المعارف العلمية إنما هو في حقيقة الأمر ورثوه وأخذوه عن المسلمين، وليس هذا تقول ، أنظر إلى علومهم في كافة الميادين، هم في ظلمات أخذوها من المسلمين.

وألفت مؤلفات كثيرة في هذا الباب، المؤمن الذي يعيش على نور يفجر طاقاته كلها ما استودعه الله عز وجل بها لينفع دينه وينفع البشرية.

الله يقول " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه " على نور " ، "والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم .

قال في الظلمات " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ".

ففرق بين من يكون أعمى وأصم وبين من يكون بصير وسميع.

"مثل الفريقين كالأعمى والأصم " الواو في والأصم واو عطف معطوفة على أعمى والأصم، قال: " والبصير والسميع " الواو بين البصير والسميع واو عطف أيضاً ، السميع معطوفة على البصير والواو قبل البصير كالأعمى والأصم والبصير معطوفة على المثل الآخر ليست معطوفة على التي قبلها، ومثل هذه واو استئنافية معطوفة على المثل الآخر مثل الفريقين مثل الفريق الأول كذا ومثل الفريق الثاني كذا ، وهذا يسمى في علم البلاغة أيضاً لف ونشر، السميع كالأعمى والأصم والبصير والسميع، الأعمى يقابله البصير والأصم يقابله السميع فهذا يسمى في علم البلاغة لف ونشر مرتب، في لف ونشر غير مرتب موجود لكن في القرآن وفي أحاديث النبي ﷺ لف ونشر مرتب، الأعمى والأصم يقابله بصير وسميع فهذا ما يسمى ما يسميه علماء البلاغة لف ونشر مرتب.

للإمام ابن القيم كلام جميل في الحقيقة في كتاب طريق المهجرتين المثل أختم درسي على إيجاز لما ذكر أقسام العباد السفر إلى الله ذكر المؤمنين وذكر الكافرين ، والمؤمنون الأصناف الثلاثة ظالم لنفسه ، مقتصد ، سابق بالخيرات سابق ، الله يجعلنا من السابقين.

دائماً أقول لإخواني وأحبائي قل الحمد لله الذي خلقنا الله تعالى في هذا الزمان،
نحمده سبحانه حمداً كبيراً كثيراً ملء السماوات والأرض وما بينهما أن خلقنا في
هذا الزمان .

لماذا أحمد الله على هذا الخلق في هذا الزمان؟

لأن نبينا صلى الله وسلم قال " لكل قرن سابقون " فنحن الآن في هذا الزمن هذا
الذي نعيش فيه نسابق مع مقعدين مع أناس أصحاب عرج أصحاب غير همة
فنسبق ليس لفضلنا الذي فينا وإنما لضعف الذين نحن بينهم .

أين نحن لو كنا مع الصحابة والتابعين؟ ما هو موقعنا؟

النبي يقول: " لكل قرن سابقون".

فالله جبر كسرنا وضعفنا بأن خلقنا في هذا الزمان ، أبو مسلم الخولاني عبد الله ابن
ثوب إمام من أئمة التابعين ، حرقت داره فأكلت الأخضر واليابس ولم تمسه بشيء
، فبلغ خبره عمر ابن الخطاب فبكى عمر وقال الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة
أمثال إبراهيم ، الحمد لله الذي جعل في أمة مُحَمَّدٍ ﷺ أمثال إبراهيم.

كان أبو مسلم الخولاني يعلق الصوت فينام النفس تطلب منه أن ينام فيأخذ السوط
ويضرب نفسه فيقول والله لنقاتلن أو لنزاحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على رسول الله ، أريد أن أحشر معه لأزاحمهم عليه ﷺ حتى أحشر معه
وكان يقوم ويطيل القيام ، أولئك قوم لا يمكن أن نجاريهم أما نحن في هذا الزمان
نسأل الله العافية.

يقول الإمام ابن القيم في طريق المهجرتين: ((العبد من حيث استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر إلى ربه))، السفر كل يوم تقطع المسافة أنت كل يوم تقطع مسافة في الطريق في طريقك إلى الله ، ((ومدة سفره هي عمره الذي كتب الله له، فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره))، لما تسافر تقف عند مكان تعبي بنزين توكل تشرب فالليالي والأيام هكذا مثل هذه المحطات، ((فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر فالكيس الفطن هو الذي يجعل كل مرحلة نصب عينيه فيهتم بقطعها سالماً غانماً ، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه ولا يطول عليه الأمد فيقسو قلبه ويمتد أمله ويحضره التسوييف والوعد والتأخير والمطل بل يعد عمره تلك المرحلة الواحدة فيجتهد في قطعها بخير ما بحضرته فإنه إذا تيقن قصرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل)).

أيام نوح وقد قص الله علينا خبره أنه مكث يدعو إلى الله ألف سنة إلا خمسين عام فقليل أن نوح قيل له في أمة تأتي عمرها بين الستين والسبعين " أعمار أمي بين الستين والسبعين " .

متى يكون عمرك ستين؟

لما تصير عمرك خمسين تدخل في عقد الستين.

ومتى يكون سبعين؟

العقد السبعين لما تصير ستين من صار عمره ستين سنة دخل عقد السبعين ، فقيل لنوح فيه أقوام من أمة مُحمَّد ﷺ يعني أعمارهم بين الستين والسبعين قال: والله لو كان عمري بين الستين والسبعين لسجدت لله سجدة ما قمت منها ، ستين لسبعين سجدة بس سجدة واحدة .

((فيقول يجتهد في قطعها بخير ما بحضرته فإنه إذا تيقن قصرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل وطوعت له نفسه الانقياد إلى التزود فإذا استقبل المرحلة الأخرى من عمره استقبلها كذلك فلا يزال هذا دأبه حتى يطوي مراحل عمره كلها فيحمد سعيه ويبتهج بما أعده ليوم فاقته وحاجته فإذا طلع صبح الآخرة وانقشع ظلام الدنيا فحين إذ يحمد سراه وينجلي عنه كراه فما أحسن ما يستقبل يومه وقد لاح صباحه واستبان فلاحه ثم الناس في قطع هذه المرحلة أقسام قسم قطعوها مسافرين فيها إلى دار الشقاء)).

وهم فريق الأضم .

((فكلما قطعوا مرحلة منها قربوا من تلك الدار نار جهنم وبعثوا عن ربهم عن دار كرامته فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ومعاداته)).

عاش في هذه الحياة وهو يعصي الله عز وجل ويعادي الله سبحانه وتعالى .

وصلت في البشرية اليوم أن الرجل يتزوج الرجل والمرأة تتزوج المرأة خلاف عقلي وخلاف فطرة وخلاف دين وخلاف تعاليم موسى عليه السلام وخلاف تعاليم عيسى عليه السلام وتعاليم مُحمَّد ﷺ تعاليم الأنبياء جميعاً ، نسأل الله عز وجل العفو

والعافية ، وحتى يروج هذه الشهوات التي لا حد لها دقوا لها وتداً وهذا الوجد الذي دقوه هو الإلحاد، فالإلحاد راج في المرحلة الأخيرة حتى تروج موضوع المثلية ، ما يمكن أن ينتشر هذه المثلية وهناك في القلب أدنى واعظ لله، فانطفأ هذا الوجد بالكلية حتى بدأت أمواج الإلحاد ، الإلحاد هو قريب للشذوذ نسأل الله عز وجل العفو والعافية .

((فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ومعاداته ومعاداة رسله وأوليائه ودينه والسعي في إطفاء نوره وإبطال دعوته دعوة الحق وإقامة دعوة غيرها فهؤلاء جعلت أيامهم مراحل يسافرون فيها إلى الدار التي خلقوا لها واستعملوا بعملها فهم مصحوبون فيها بالشياطين الموكلة حتى يسوقونهم إلى منازلهم سوقاً كما قال الله عز وجل " ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ")).

أرسلنا ماذا؟

الشياطين ، الشياطين رسل الله ، لكن لمن؟

للكفار، وفق سنة الله في كونه لا في شرعه، فأنبىء الله رسل الله إلى خلقه وفق سنته في شرعه يبين لهم الحلال والحرام، الشياطين رسل للكافرين وفق سنة الله في كونه.

هم رسل الشياطين لمن؟

للكافرين.

" ألم ترى أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا " أي تزعجهم إلى المعاصي والكفر إزعاجاً.

وتقلقهم إقلاقاً، يبحثون عن الشهوة، هم لا يؤمنون بغيرها.

ما أجمل بركة الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ، أنظر إلى الغرب لما كفروا باليوم
الآخر ما هي أحوالهم؟

المراة الشابة لما يأتيها الحيض لا تصبر على أن تفارق شهوة ليلة، فتأخذ حبوب منع
الحيض حتى لا تفوتها لذة ليلة وطبعاً بالحرام نسأل الله عز وجل العفو والعافية ،
المؤمن يجود ويقتل كما قلت لكم ويقول الحمد لله ، المؤمن يعلم أن هنالك دار
أخرى ، فالإيمان باليوم الآخر محرك دائم للإنسان والعلامة الفارقة بين الفريقين
الإيمان والعمل الصالح والاحبات إلى الله المتعلق بالقلب باليوم الآخر، ما في تعلق
باليوم الآخر تعطلت وضعف الإنسان، فاليوم الآخر محرك دائم للعمل الصالح
والارتباط باليوم الآخر، وهذا هو الذي امتاز به الفريق الأول بالقسم الأول قسم
ألف، قسم ثاني والقسم الثالث كذلك ، في القسم الثالث هو في دائرة الإيمان ما
فقد الإيمان باليوم الآخر، لكن قصر في الأعمال .

فالكلام على عدم التشابه بين المؤمن والكافر وأنه هؤلاء فريق وهؤلاء فريق قد
استوفينا معالمهم بالإجمال وأما التفصيل فيحتاج إلى كلام طويل والمثل المذكور يأتي
إن شاء الله تعالى في مواطن أخرى من الكتاب .

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.